وقفاتٌ مع غزوة بدرٍ والعشر الأواخر

(خطبة الجمعة لفضيلة الشّيخ عبد الحق شطّاب – حفظه الله –

بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ – رحمه الله –

يوم 17 رمضان 1434هـ الموافق لـ 26 جويلية 2013م)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِهِ الله فهو المُهتد ومن يُضلل فلن تجِد له وليًّا مرشدًا،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنّ مُحمّدا عبدُه ورسوله،

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿01﴾ "سورة النّساء.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿102﴾ "سورة آل عمران.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿70﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿71﴾ " سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم –،

وشرّ الأمور مُحدثاتها، وكلّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ، أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

معاشر الإخوة الكرام،

لقد حدث في 17 من رمضان للسّنة الثّانية من هجرة النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - غزوة بدرٍ الكبرى، والّتي ينبغي أن نستخلص منها دروسًا قيّمةً:

- **وأوّل دروسها:**

هي حرص النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم – دخول معركة بدرٍ بصفوفٍ موحّدةٍ متآلفةً، تسير نحو هدفٍ واحدٍ وهو نصرة دين الله تعالى، لتحقيق غايةٍ واحدةٍ ابتغاء رضاء الله دون سواه:

" **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿46﴾** " **سورة الأنفال.**

ولذلك فرغم انفلات قافلة أبي سفيان، فإنّهم خرجوا مع الرّسول - صلّى الله عليه وسلّم – لقتال قريشٍ، رغم أنّهم كانوا يُريدون الغنائم والأموال الّتي تحملها تجارة قريشٍ، وقال الله في وصفهم:

" **وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿7﴾**

" **سورة الأنفال.**

وهذا ما جعل النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – يُصِرُّ على معرفة موقف الأنصار، فكان يقول: (**يا قوم أشيروا عليّ، يا قوم أشيروا عليّ**)،

و لم يدخل المعركة إلاّ بعد أن قال سعد بن معاذٍ سيد الأنصار – رضي الله عنه – : (**لقد آمنّا بك وصدّقناك، وشهدنا أنّ ما جئت به هو الحقّ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السّمع والطّاعة**).

وانظر إلى استجابة الأنصار السّريعة رغم أنّهم بايعوه إلاّ بنصرته وحمايته في المدينة، وبدر كانت خارجها.

وفي هذا أنّه على المسلم إذا احتاجه الإسلام أن يقول: (**لبّيك! سمعًا وطاعةً**)،

إنّها بيعة أجدادنا لرسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ، وهي بيعةٌ في أعناقنا لنشر الإسلام والدّفاع عنه وحماية بيضته.

- والدّرس الثّاني:

أنّ الأمّة بأفرادها وجماعتها ينبغي أن تعلم أنّ الشّورى قاعدةٌ من قواعد النّظام الإسلامي، وذلك فيما ليس فيه نصًّا من كتابٍ أو سنّةٍ أو إجماعٍ، ولذلك شاور رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – الصّحابة في مواجهة قريشٍ في هذه الغزوة، كما قَبِلَ مشورة الحبّاب بن المنذر – رضي الله عنه – في موقع النّزول ببدرٍ، قال الله تعالى:

" . . . وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿159﴾ " **سورة آل عمران.**

وإذا كان المطلوب من المعصوم رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم — أن يشاور مثلما أخذ بمشورة أمّ سلمة في الحديبيّة، فما بالك بمن هو دونه، وما خاب من استشار، لكن هل نشاور ونتشاور حول هل نستورد الخمر أم لا؟، هل نبيعه أم لا؟، والله تعالى يقول:

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿90﴾ " **سورة المائدة.**

هل نتشاور هل نجيز التّعدّد أم لا؟، والله يقول:

" . . . فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ . . . ﴿3﴾ " **سورة النّساء.**

هل نتشاور في الوليّ الّذي هو ركنٌ في الزّواج بدونه يبطل، لقول النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم — : (**لا نكاح إلاّ بِوَلِيٍّ وشاهدَيْ عدلٍ**)، هذه وأشباهها لا شورى فيها لورود النّصوص الصّريحة في ذلك، ولذلك علماؤنا قعدوا قاعدةً: (**لا اجتهاد في**

مورد النّص). ولا يغيب عنّا أن نحيّي الإخوة الّذين صوّتوا على منع استيراد الخمر في البرلمان، فهي محمدةٌ لهم رغم أنّ هذا القرار يبقى أبتر، لأن السّكارى سيسكرون بالخمر المحلّي عوض الأجنبي، وحال هؤلاء كالّذي أصابه وجع في ضرسٍ مسوّسٍ، فأعطيناه حبّة أسبرين، بينما تحتاج الضّرس إلى قلعها، ولا تعليق أكثر من هذا !!.

- والدّرس الثّالث من غزوة بدرٍ:

لقد نصر الله المسلمين في بدرٍ وعددهم 314 نفرٍ والأعداء 1000 نفرٍ يفوقون المسلمين عُدَّةً وعتادًا، هذا الأمر نتعلّم منه نحن المسلمون أن لا نرهب أحدًا مهما بلغت قوّة العدوّ الكافر من اليهود والنّصارى والمشركين، قال تعالى:

" **وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿59﴾** " **سورة الأنفال.**

فقوّة الأعداء لا تعجز ربّ العباد، بل ينبغي الإعتماد على الله والتّكلان عليه، بعد إفراغ الوسع والجهد في الإعداد والأخذ بالأسباب:

" **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿60﴾** " **سورة الأنفال.**

ولهذا نلاحظ النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم – وهو يتضرّع رافعًا يديه ليلة غزوة بدرٍ، حتّى يقول له أبو بكر: (**هَوِّنْ عليك! فإنّ الله سينجز لك ما وعدك**)،

ورسول الله يعلم مصارع القوم، كلّ هذا ليعلّمنا نبيّنا أنّ النّصر من عند الله ومن عنده وحده، ولذلك قال تعالى:

" إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿ 160 ﴾ " سورة آل عمران.

بهذه العقيدة دخل المسلمون غزوة بدرٍ، أنّ النّصر من عند الله، وبصفوفٍ موحّدة راجين وجه الله دون سواه فكان النّصر.

وحينما تتفرّق الأمّة سيتأسد علينا الكلاب والقطط وأحفاد القردة والخنازير في العالم، وذلك حينما غيّب المسلمون كتاب ربّهم وسنّة نبيّهم الّتي تجمعهم، وأصبحوا فِرَقًا وزرافاتٍ كلّ حزبٍ بما لديهم فرحون.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نِعَمِهِ، وأشكره على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله،

معاشر الإخوة الكرام،

إنّ من رحمة الله وفضله وَمَنِّهِ علينا، أنّه جلّ جلاله ترك لنا فرصةً لاستدراك تهاون من تهاون، وتكاسل من تكاسل، فيما سبق من أيّام رمضان، وذلك بالإجتهاد في العشر، فمن حصل منه تفريطٌ فعليه بهذه العشر، ومن اجتهد فعليه بالإستزادة، فقد ثبت في الحديث المتّفق عليه عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: { **كان رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – إذا دخل العشر الأواخر من رمضان، أحيا ليله، وأيقظ أهله، وجدّ وشدّ المئزر**).

ومن فضل هذه العشر الأواخر، أنّ فيها ليلةٌ خيرٌ من ألف شهرٍ وهي ليلة القدر، قال تعالى:

" **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿ 1 ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿ 2 ﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿ 3 ﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿ 4 ﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿ 5 ﴾** " **سورة القدر.**

هذه اللّيلة تستمدّ خيريّتها بما أنزل فيها وهو القرآن، وفي الحديث المتّفق عليه عن أبي هريرة – رضي الله عنه –، قال عليه الصّلاة والسّلام: (**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا، غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه**).

فمن ترك القيام في الأيّام السّابقة ما ينبغي أن يتركه في هذه العشر، ويتحرّى المسلم الصّائم ليلة القدر في العشر الأواخر، لقول النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – في الحديث المتّفق عليه، عن عائشة – رضي الله عنها – قالت:

{ كان رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – يتحرّى ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان، ويقول: (تحرّوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان) }.

وهي في السّبع الأواخر أحرى، للحديث المتّفق عليه عن ابن عمر – رضي الله عنهما –، أنّ رجالاً من أصحاب النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – أُرُوا ليلة القدر في المنام في السّبع الأواخر، فقال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – : (**أرى رؤياكم قد تواطأت في السّبع الأواخر، فمن كان متحرّيها فليتحرّاها في السّبع الأواخر**).

واعلموا أنّها في الأوتار من هذه السّبع، لما رواه البخاري عن عائشة – رضي الله عنها – قالت أنّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – قال: (**تحرّوا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان**).

قال العلماء: (**هي في العشر الأواخر، وأنّها في أوتاره آكدُ، وأنّها في ليلة السّبع والعشرون آكدُ، لكن هي تنتقل في العشر، فقد تكون هذه السّنة ليلة 21، وبعد سنة في ليلة 23، وفي السّنة الّتي بعدها في ليلة 25، ثمّ ليلة 27 ثمّ ليلة 29**).

وعلى المسلم أن يحرص فيها بتلاوة القرآن، والقيام وذكر الله، والدّعاء والتّفرّغ إلى الله، فقد ثبت فيما رواه التّرمذي بسندٍ صحيحٍ عن أُمِّنَا عائشة – رضي الله عنها – قالت للرّسول – صلّى الله عليه وسلّم – : (**أرأيت إن وافقت أيّ ليلةٍ ليلة القدر، ما أقول فيه؟**)،

قال: (**قولي اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العفو فاعف عنّي**).

معاشر المسلمين،

لقد سنّ لنا رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – سُنَّةً تعيننا على إدراك هذه اللّيلة لا محالة لمن تيسّر له ذلك، ألا وهي سُنَّة الإعتكاف، فقد أخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر – رضي الله عنه – قال: (**كان رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – يعتكف العشر الأواخر من رمضان**).

وأخرج البخاري ومسلم عن عائشة – رضي الله عنها – : (**أنّ النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتّى توفّاه الله تعالى، ثمّ اعتكف أزواجه من بعده**).

والإعتكاف هو لزوم المسجد وطاعة الله عزّ وجلّ، ولا يشرع إلاّ في رمضان، وكان النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – يفعل ذلك تحرّيًا لليلة القدر، فلا يشتغل المعتكف إلاّ بذكر الله والصّلاة وقراءة القرآن، ولا يخرج من المسجد إلاّ لضرورة كأن يكون ليس له من يأتيه بالطّعام والشّراب، أو للجنابة إن لم يجد مكانًا لرفعها بالمسجد، فإذا جاء من يشغله باللّغو أعرض عنه، فيقول: (**يا أخي أنا معتكفٌ**)، فاحرصوا على هذه

العشر واجتهدوا في العبادة والذّكر والصّلاة، والدّعاء والصّدقة، وأعرضوا عن المشغلات ولو تجارةٍ، ولتحرص النّساء على الإجتماع في بيوتهنّ على ذكر الله تعالى، كأن تصلّي البنت بالأمّ والجدّة والأخوات تقف في وسطهنّ، أو ليجتمعنّ على سماع شريطٍ لتلاوة القرآن أو شريطٍ لدرسٍ ديني.

فهكذا ينبغي للعائلات المسلمة أن تُحيي العشر الأواخر، ولا تُحييها بسماع الغناء والحفلات والسّهر في لغو الحديث، ومن كانت له تجارة فليحرص على تعويض العبادة في اللّيل.

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت، وعافِنا فيمن عافيْت، وقِنا شرّ ما قضيْت،
اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْــنـــًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها لنا ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،
اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بِقَوْمٍ فِتنةً، فتَوَفَّنا غير فاتنين ولامفتونين،
اللّهمّ إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك، وحبّ كلّ عملٍ يُقرِّبنا إلى حبّك،
اللّهمّ اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيّامنا يوم لِقاك،
اللّهمّ لا تأخذنا على حين غِرّةٍ، ولا على حين غفلةٍ،
اللّهمّ وفّقنا لصيام وقيام هذا الشّهر المبارك ،
اللّهمّ وفّقنا لصيام وقيام هذه العشر الأواخر،
اللّهمّ وفّقنا للإجتهاد في هذه العشر الأواخر فيما يرضيك يا ربّ العالمين،
اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،

اللّهمّ انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، واخذُل ودمِّر أعداءِ الدّين في مشارق الأرض ومغاربها،

اللّهمّ فرّج كربة السّوريّين وانصرهم على الظّالمين،

اللّهمّ فرّج كربة السّوريّين وانصرهم على الظّالمين،

اللّهمّ فرّج كربة المصريّين وانصرهم على الظّالمين،

اللّهمّ فرّج كربة المصريّين وانصرهم على الظّالمين،

إنّك على كلّ شيءٍ قديرٌ، وبالإجابة جديرٌ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، سبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إلـٰـه إلاّ أنت، نستغفرك ونتوب إليك.